



" ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة " كانت هذه هي العبارة الثانية التي أجاب بها ذلك القائد الرباني ربعي قائد الفرس رستم، فالدنيا ضيقة و هي جاثمة على صدور عبادها و اللاهتين وراءها ، فكل من ملك من الدنيا ما يتمناه المتمون وتمكن حبها من قلوبهم، هؤلاء كلهم تجثم الدنيا على صدورهم و تضيق عليهم أنفاسهم و هذا قول ربنا الذي لا تخفي عليه خافية {فَمَنْ يُرِدُ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِإِسْلَامٍ وَمَنْ يُرِدُ أَنْ يُضْلِلَ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيْقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ} (125) سورة الأنعام.

هي من معجزات القرآن الذي نزل قبل أن يعرف العلم الحديث طبقات الجو وأن الأكسجين الضروري لحياة الإنسان ينقص كلما ارتفعنا و ابتعدنا عن الأرض وعندما يشعر الإنسان بضيق الصدر والاختناق بسبب نقص الأكسجين، فكل الإنسان سجين مكبّل بقيود الشهوات والمغريات التي سُلّطت عليه، عندما يتحرر قلبه من تلك الأثقال ويراها بعين اليقين أنها كجناح بعوضة كما وصفها النبي الكريم - عليه الصلاة و السلام - عندها تنطلق تلك الروح و هذا القلب ليسرح و يفرح و يسعد بلذة القرب والأنس من ربه عز و جل {قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلَيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ} (58) سورة يونس.
فابن القيم ذلك الإمام الجليل - رحمه الله - قال: "لقد خرج أهل الدنيا من الدنيا ولم يتذوقوا أذل ما فيها، قالوا: و ما أذل ما فيها يا إمام."

قال: قال لذة القرب والاستئناس بالله عز وجل " وقد جاء يهودي إلى الشيخ الرباني عبد القادر الجيلاني - رحمه الله -. فقال اليهودي: يقول رسولكم إن "الدنيا سجن المؤمن و جنة الكافر" ، فهل النعمة التي أراها عليك سجن لك والفقير المدقع الذي أعيشه أنا هو نعمة علي، فنطق ذلك الإمام الرباني الذي ألهمه الله الحجة قال: نعم ، هذا النعيم الذي تراني فيه هو سجن بالنسبة لما أعده الله للصالحين من عباده من النعيم الذي لا عين رأت و لا أذن سمعت بمثله ، و أما هذا الفقر الذي تعانبه أنت فهو النعيم بالنسبة للجحيم المقيم الذي ينتظرك إذا لم تتب إلى ربك" فكانت تلك العبارة سببا لإسلام ذلك اليهودي. ولذلك كان ذلك الجيل الذي تربى و تخرج من مدرسة النبوة المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة و السلام قد تحررت قلوبهم من شهوات الدنيا و سمت أرواحهم فعاشوا لله و بالله و لم تعد الدنيا عندهم سوى ظل شجرة استظل بها راكب ثم راح و تركها .

ففي غزوة بدر و عندما تقابل الجماعان سأله أحد الصحابة و هو عمير بن الحمام -رضي الله عنه-. النبي عليه الصلاة السلام قال يا رسول الله : أرأيت إن قُتلت هل أدخل الجنة قال عليه السلام : إن قُتلت قبل غير مذنب فستدخل الجنة ، فقال عمير -رضي الله عنه-. و كانت بيده تمرات يأكل منها ليتقوى على القتال : بخ بخ ، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم- : ما أكلك لهذا يا عمير ، فقال : إنها لحياة طويلة إذا انتظرت حتى آكل كل هذه التمرات فألقاها من يده و اندفع نحو العدو و قاتل حتى قتل و استشهد في سبيل الله و كان له ما أراد -رضي الله عنه-. و في زمننا هذا، هل أبطال حماس وغيرهم من الشباب الذين باعوا أنفسهم لله و خرجوا بأحزامتهم الناسفة ليفتکوا بالعدو فهل هم كما قال طغاة هذا العصر يتناولون حبوب الهلوسة أم أنهم تحرروا من رق الشهوات الدنيوية فانطلقوا مسرعين للقاء الله و ليفوزوا برضوانه و رضاه بإذن الله.

نعم إنها الدنيا التي غرت مواليها فقد روى أبو مسلم الخولاني عن سيدنا علي -رضي الله عنه-. قال : لقد رأيت الإمام علي بن أبي طالب يوما جالسا في محاربه و قد أرخي الليل سدوله و غارت نجومه وهو يتمتمل تملل السليم و يئن أنين الحزين ماسكا بلحيته و يقول آه يا دنيا غري غيري، أبي تشوافت أم إلي تشوافت فعيشك حقير و عمرك قصير و خطرك كبير فاه ثم آه من بعد السفر و قلة الزاد و وحشة الطريق.

فهؤلاء هم طلاب و خريجو المدرسة المحمدية -صلى الله عليه وسلم-. و رضي عنهم و أرضاهم. فأسأل الله تعالى أن يجمعنا من يسير على نهجهم و يترسم خطاهم أمين أمين يا رب العالمين. و إلى معلم آخر من معالم على طريق الثورة بإذن الله.

المصادر: